مجلة الدراسات الأفريقية - العدد ٢٠ (١٩٩٨) : ٥٣ - ٩٠

جهاد الحاج عمر الفوتى تال
نظريا وتطبيقيا

د / الحسن يرولى*

الفصل الأول : الحاج عمر شخصيته وبيئته والسمات الغالبة عليها

المبحث الأول : شحصية الحاج عمر

أولا : البيئة والخبرة اللتان أثرتا عليها :

ولد عمر الفوتى ١٧٩٨م فى قرية هلوار الواقعة على الضفة الغربية من نهر السنغال ومن أعمال مدينة بدور الواقعة فى إقليم سينلويس . ونشأ فى بيئة دينية علمية مرموقة فى بلد عرف الحكم الشرعى للدين الإسلامى بما يزيد على قرن من الزمن باعتبار أن الجمهورية الإسلامية فى فوتا قد قامت فى نهاية القرن السادس عشر وكان رؤساء هذه الجمهورية (التى أقامتها نقباء أبناء فوتا بزعامة الشيخ سليمان بال الذى لم يتول الإمامية) كانوا يدعون بالأئمة .

تزود عمر الفوتى بعلوم الدين وبالتربية الإسلامية الصحيحة فى هذه المنطقة وترعرع فى ظل الشهامة ، الإباء والشرف والتقوى هي من الأمور التى عززت حزمه وطموحه إلى ما هو أفضل ، لأن بلاده بلاد الإسلام قد استهدفت مكافحة الغرب الذى شرع فى محاولة تلويح الصليب مصطحباً بقوة السلاح والمال والعلم الحديث وكان مما يخاف منه أن تصل هذه الأمور كلها إلى أراضى أفريقية بكرة لم ترسخ فيها بعد عقيدة

* رئيس قسم اللغة العربية فى المدرسة العليا بجامعة « شيخ أنت جوب »

الإسلام فهب للإستزداة من العلم والقوة ليجد للمسلمين عامة وللأفارقة السود خاصة كما وكيفا من الدعائم التى بها يقفون أمام الغزو الصليبى السافر الذى جاء من الغرب(١).

وعندما بلغ عامه الثالث والثلاثين ١٨٣٣م سافر نحو الشرق ومر فى كثير من القرى والأقاليم فى منطقة غرب أفريقيا ومنها إلى كل من غينيا ومالى وفولتا العليا وغانا والنيجر وليبيا والسودان ومصر والحرمين الشريفين والشام حيث لقى ملابسات عديدة تجد ذكرها فى كتب التاريخ والسير الخاصة بالحاج عمر الفوتى(٢).

لقد شارك خلال هذه الرحلة الطويلة التى استغرقت ٢٠ سنة فى عدة أمور علمية ودينية وإجتماعية كبرى وعلى سبيل المثال مروره بغينيا حيث انتسب إلى السلك التجانى بواسطة عبد الكريم جللو الذى لقنه الطريقة التجانية بعد ما سبره وعرف بأنه أهل لذلك كما أنه فى غينيا لقى رجال العلم أصحاب الأسرار الدقيقة والفقهاء وأجرى معهم مناظرات علمية . منهم جيرنو ساد دلى .

وفى ماسنا نزل ضيفا عند الأمير أحمد باب لبو فأكرمه وأحسن وفادته وأوصاه بأهله فقبل راضيا ولكن حفيده أحمد بن أحمد مع صغر سنه عبر عن رفضه للشيخ بالبكاء الذى فهمه الرجلان وسيأتى الكلام عن ذلك فى أحداث الجهاد(٣). وفى نيجيريا صادف وصوله قيام حرب بين قبائل كانم برنو وأمير سكتو الشيخ أحمد بللو ابن الشيخ عثمان دم فوديو واستفاد الشيخ عمر بذلك الجهاد استفادة كبيرة وله مع هذه الأسر أى أسرة أحمد بللو أشرف روابط دينية وعلمية وإجتماعية .

---

(١) إبراهيم شام :تعامل تربوى ولغوى مع كتاب ((تذكر ة القلوب)) للشيخ عمر الفوتي . القسم العربي بالمدرسة العليا للأساتذة . جامعة شيخ أنت جوب .١٩٩٤، المقدمة .

(٢) شكيب ارسلأن :حاضرة العالم الإسلامي . بدون تاريخ ص ٢٩٤

(٣) الشيخ موسي كمرا ، أشهي العلوم وأطيب الخبر فى تاريخ الحاج عمر مخطوطات شيخ موسي كمرا المعهد الأساسى لأفريقيا السوداء I.F.A.N جامعة شيخ أنتا جوب داكار، ص٥ .

وفى مصر مر فى وقت كانت فيه الثورات ضد الهيمنة البريطانية والتركية معا بأشد أوجها وهو الذكى العاقل العالم المهتم بمستقبل الإسلام فى أفريقيا خاصة وفى العالم عامة . استطاع أن يستلهم كل هذه الحركات والثورات والإنتفاضات ويشربها فكريا وعمليا ليسخرها فى طاقته الكامنة التى يحمل طموحاته وأهدافه الرامية إلى خدمة العقيدة الإسلامية فى غرب أفريقيا . وفى الحرمين الشريفين ، حج واعتمر وزار وجاور رسول الله ﷺ المنقذ من الضلال(١).

فكأنه فى هذه الحالة شعر ببلوغ نصف هدفه وكأنه عند ما لقى الشيخ محمد الغالى التجانى فى مكة نال المنى وفيها جرى بينهما حديث طويل نكتفى فيه بإستلامه منه نسخة من جواهر المعانى واستخلافه له برتبة خليفة من خلفاء الشيخ لا من المقدمين فحسب بل هو نائب عن الشيخ مطلقاً فى الطريقة التجانية وبتلك الحقائق عرف قيمة جواهر المعانى وأحاطها برماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم صونا لها .

قلنا إن سفره الطويل قد إستغرق حوالى ٢٠ عاما وعودة منه وإلى فوتاتور وسنتناول هنا لمحة من التعاملات التى جرت له مع من مر بهم فى طريق عودته ومما يهمنا هنا مروره بحمد اللّٰه عاصمة أمير «ماسينه» حيث نزل مرة ثانية عند الشيخ أحمد بللو الأمير الذى اختار أصغر أبنائه وحفيده أحمد بن أحمد لإجراء حوار مع الشيخ عمر الفوتى تال فغضب باقى أبنائه بحجة أنهم أبعدوا عن هذا الحوار والحال هم أكبر سنا من المختارين ولكن أمير ماسينه أجاب أولاده بقوله « أن هذا الشيخ سيملك أرضكم مستقبلا فى الوقت الذى أنا وإياكم نكون فيه كلنا فى عداد الأموات بينما سيكون هذان حاضرين ومن هنا بدأوا فى تدبير مؤامرات لاغتيال الحاج عمر وللقضاء على مهمته وشرعوا فى تتبع آثاره مرسلين إلى كل الملوك الذين سينزل عندهم أو سيمر بممالكهم بتهم الزور وبأنه يأتى لغزوهم ولذل عروشهم ليصبح ملكا عليهم فأنكروا عليه كل خصال الدين بل اتهموه بأنه طالب الدينا الأمر الذى أدى ببعض الملوك إلى تصديق هذه المزاعم الكاذبة ومنهم ملك سغو: المسمى « بشفلو» الذى ألقى عليه القبض

(١) ابراهيم تيام مرجع سابق ص هـ ، و

ووضعه فى سجن شديد ولم ينبح منه إلا بواسطة سيدة حكيمة أخت الملك التى أو عزت إلى الملك بالكف عن إيذاء الرجل الدينى وتفنيد مزاعم الماسينيين الذين[1] لو كانوا صادقين لقتلوه هم بأنفسم وذكرته بأن كلامهم هذا دسيسه يرمون من ورائها إلى إضعافه وإيقاع اللعنة عليه لا أكثر ولا أقل[2] . ويكفيه فى ذلك دليلا تورم جسم الملك وتمكن الشيخ من مداواته بسرعة مذهلة [3] . وهكذا تم إطلاق سراحة وإكرامه ثم استمر فى طريقه تتقاذفه الأحوال لسعة الوشايه التى قام بها أهل ماسين الذين يرون قتله وحيلولة دون المرام حتى وصل إلى فوتا جلون وحط رحاله فى موضع يسمى « جكنكو» فسكن هناك مدة ما جاء إليه خلالها كل من : مود محمد جم ، وألفا عباس ، ومود محمد الفكاوى وهم من وجهاء أرض فوتا جلون فبايعوه بيعه الرضوان وصاروا أكبر قواده على فصائل فوتا جلون من جيشه. ثم عزم على العودة إلى فوتا تور مارا بجلف وهكذا وصل إلى فوتا وإتجه مباشرة إلى دمت حيث لقى « المان بوبكر كن » وكان طاعنا فى السن ولما تحدث معه فى أمر الجهاد فى سبيل الله اعتذر له لكبر سنه مع حسرة فى قلبه قلنا إن الشيخ إلمان بوبكر قد أجاب الحاج عمر أسلفنا ولكنه لم يكتف بذلك ، بل قدم إليه أبنه سليمان إلمان بوبكر، ودله على رجلين من ذوى الإيمان والعلم والنفوذ كل واحد فى مكانه لكى يتشاور معهما فى أمر الجهاد فى سبيل الله وهما تفسير جابر جالو، فى قرية « جانيوم » الذى يعتبر رائد جماعة فولب جاوب « الذين بايعوه والشيخ أحمد المهدى من قرية « وورو المهدى» الذى كان يعتبر نفسه بأنه هو المهدى المنتظر وكان يعد العدة لمحاربة النصارى الغزاة الرابطين فى سان لويس وفى جلوار مسقط رأس الحاج عمر بعد إجراء محادثات مع الرجلين ، حط رجاله ودعى جميع العلماء ومشايخ أرض فوتاتو بتوجيه الرسائل إليهم

---

(١) محمد الحافظ التجاني مصر : الحاج عمر الفرتي سلطان الدولة التحانية جهادة وتاريخ حياته ، ص ١٠ - ١١ . وراجع : إبراهيم تيام : مرجع سابق / نفس الصفحة ١٠-١٢ .

(٢) مقابلة مع السيد / بيد باص الذي نقل كل معلوماته من كتاب محمد علي تيام الذي صاحب الحاج عمر في كل حركاته وجهاده .

(٣) موسي كمرا ، مرجع سابق .

جميعا فاستجاب الجميع تقول كتب التاريخ ، قد بايعه تسعه وتسعون عالما بالجهاد فى سبيل الله ثم أخذ طريقه إلى فوتا جلون مارا بـ « بوندو » بعد أن بايعه أكثر أهل فوتا جلون ووصل إلى أهله فى « جكنكو » حيث كان قد ترك أسرته[1] ومال فكره إلى تنفيذ ما أمر به من بحث عن موضع يقيم فيه وهو دينغراى وهكذا وجه طلبا إلى أمير فوتاجلون ليرخص له فى أمر السكن فى هذه البقعة الجديدة دينغيراى الجديدة دينغراى[2] غير أن أمير فوتا جلون أخبره بأن تلك الأحراز ليست تابعه لأراضى بلاده بل هى من سلطة بمبا ساخو ملك تامبا ومن هنا وجه طلبا جديدا إلى هذا الأخير الذى وافق عليه بشرط منحة الجزية سنويا فقبله الحاج عمر راضيا ثم انتقل إلى المكان «دينغراى» وقسمه إلى ثلاثة أقسام القسم الشمالى الذى أسكن فيه أهل فوتا تور وسماهم بالمهاجرين كما أسكن أهل فوتا جلون فى القسم الجنوبى وسماهم الأنصار بينما بقى فى الوسط مسكنا إتخذه مصلي ومدرسة ودار الندوة[3] .

ثانيا : السمات الغالبة عليه :

إن الرجل الذى بين أيدينا يكاد أن يكون فذا فى شخصيته وفريدا فى عصره ونادراً أن يكون هناك رجلا له سمات تساوى السمات الشخصية المعروفة عند الشيخ عمر الفوتى تال .

لقد كان الحاج عمر عالما حطم الرقم القياسى فى سعة الإطلاع وعمق الفهم للمواد العلمية والفكرية والثقافية والأجنبية السائدة فى العصور التى سبقته وفى عصره بل حتى فى العصور التى لحقت عصره .

لقد كان مدرسا حريصا على تكوين أبناء جيله وفيلسوفا عرف بالحكمة الدقيقة وحسن التخلص فى ابراز فكره وكان شاعراً وخطيبا بليغا يستحوذ على القارئ عندما يكتب وعلى السامع عندما يخطب وعلى الباحث عندما يطلع هذا الأخير على آثاره الفكرية والأدبية والعلمية .

---

(١) الشيخ مرسي كمرا المرجع السابق ص ٦ .

(٢) مقابلة مع السيد / بيد بياض . مصدر سابق .

(٣) الشيخ موسي كمرا ، مرجع سابق ، ص ٨ - ١٠ .

كان الحاج عمر عابداً تقيا يحل وينتقل فى أحضان كتاب الله متعلما خلال السنة الصحيحة مما جعله يتخذهما مرشداً ومرجعا فى كل الأمور العملية والسلوكية والشعوذة التى كان يعيشها .

فقد تكونت شخصيته من منطلق الإيمان واعراف الشجاعة المعروفة فى بلدته الأصلية، فصقلها الكتاب الكريم وسنة النبى الحبيب ﷺ ، فكان منبع عزمه وكرمه وسخائه وصدقه وإخلاصه فى كل تصرفاته .

كان محبا للإنسانية وغيورا للإسلام ولبنى بشرته السوداء وكان مطلعا على أوضاع عصره عالميا ومحليا ، الأمر الذى حدا به إلى مناهضة الطغات والوثنيين ورد العدوان علما بأت هدفه الوحيد هو انقاذ قومه الأفارقة من عبادة الأوثان إلى نور الإيمان بالواحدانية ومن غطرسة الإقطاعية وإستعباد الملوك إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد ومن حياة الإذلال والإهانة إلى حياة الحرية والكرامة والعزة التى يدعو إليها الإسلام. فدرس ووعظ وأرشد ووجه وربى بما يلائم مقتضى الكتاب والسنة وبما يوافق نور الإيمان الساطع فى الحضارة الإسلامية المتقدمة .

ولهذا حاول ملوك الكفر والوثنية فى زمانه وممثلوا البعثات الاستعمارية من طرف آخر حاولوا سد طريقه وتهديده بشن هجمات عسكرية سافرة على مواطن تواجده وفى سبيل الدفاع عن نفسه ضد هذه الهجمات الشرسة قام رضى الله عنه برد العدوان وصد الضلال وحماية العقيدة الإسلامية بكل ما أوتى من قوة فدافع عن نفسه وأعلن الجهاد إعتماداً على الكتاب والسنة . وهذه الشخصية عجيبة من عجائب الله سبحانه وتعالى.

يكاد المؤرخون يتفقون على أن الحاج عمر بدأ جهاده وعمره ثمانية وخمسون سنة شارك هو بنفسه فى ٣٠ معركة حربية أرسل إثنين وخمسين سرية فى ظرف إثنتى عشرة سنة ، إذ يقولون إنه عمر حوالى سبعين سنة كما يقولون أنه ألف العديد من المؤلفات حتى أثناء الجهاد كان يؤلف ويكتب من أجود ما يكتبه الكتاب والشعراء. ومن طرف آخر يذكر بأنه رزق من الأولاد٦٣ من البنين والبنات كما يعتبر بأنه من أكبر أهل زمانه

إطلاعا على البلدان ومعرفة أحوال المجتمعات الإسلامية وغيرها فى أفريقيا وآسيا . وهذه الأمور من النادر جدا أن تجتمع فى شخصية واحدة فى ذلك العصر الذى لا تتوفر فيه معظم المؤسسات الموجودة الآن فى كافة المجالات .

الفصل الثانى : جهاد الحاج عمر نظرياً وتطبيقاً :

المبحث الأول : نظرية الجهاد عند الحاج عمر الفوتى

وتقوم هذه النظرية على ضوء الكتاب والسنة باعتبار باب الجهاد لن يقفل إلى الأبد ما بقيت قوى الكفر تسيطر على جزء من البشرية تمارس الظلم والإعتداء وتحول دون إنتشار دين الله الحنيف . وعليه فإن نظرية الجهاد فى الإسلام تقوم أساساً علي .

١ - على رد العدوان .

٢ - لإعلاء كلمة الله .

٣ - وتأمين حرية الدعوة الإسلامية .

٤ - ورفع الظلم عن الشعوب .

وقد جعل الله القتال مأذوناً بمباشرته للمسلمين ولكن علقه على شرط أن يبدأ الكفار بالقتال[٢] فقال : ﴿ **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا**﴾[٣] وقال: ﴿ **فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين**﴾[٤] ﴿ **وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله**﴾[٥] وقال أيضا ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير**﴾ [٦] ﴿ **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعملوا أن الله مع المتقين**﴾ [٧]. وفى سبيل تأمين حرية الدعوة الإسلامية يقول

---

(١) جيرنو منقي تال ، مرجع سابق ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٢) د. مفتاح ، نظرية الحرب في الإسلام وفي القانون الدولي ، مكتب الإعلام والبحوث والنشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ١ ج . ١٩٩٧ بنغازي ليبيا ص ١٥ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٠ .

(٤) سورة البقرة ١٩١ .

(٥) سورة الأنفال الآية ٣٩ .

(٦) سورة الحج الآية ٣٩، ولمزيد التفصيل راجع الشافعى فى كتاب الأم ج ٤، ص ٨٤ .

(٧) سورة التوبة الآية ٣٦ .

جل وعـلا " ﴿ **فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم**﴾ . وهذا دليل على أن من وقف على وجه الدعوة يجب على المسلمين أن يزيلوه عن طريقها(١). لأنه عادة لا يقف أمام الدعوة إلا أصحاب السلطة.

وفى إطار رفع الظلم عن الشعوب يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها** ﴾(٢) .

أما مبدأ عدم الأكراه فى الدين فى قوله تعالى : ﴿ **لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** ﴾ (٣).

ففيه أقوال بين كبار المفسرين قال الواحدى وابن كثير والقرطبى وأبو جعفر محمد النحاسي بالاتفاق جميعا إن الآية منسوخة بآيات القتال الثلاثة تقول ﴿ **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ وقوله ﴿ **جاهد الكفار والمنافقين** ﴾ وقوله أيضا : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**) .

والملاحظ أن هذا الرأى يقول بعدم الإكراه من كانوا على دين أهل الكتاب : اليهود والنصارى حيث لم ينافقوا ولم يصدوا عن سبيل الله .

وعليه فإن الحاج عمر الفوتى يرى أنه لا يكفى للإنسان أن يتقبل الخير فقط ولكن عليه أيضا أن يدافع عنه وأن يعمل على استقراره وتعميمه فى الأرض .

ومن هنا بنى دعوته إلى الجهاد وهو فرض كفاية ويسمى هذا الدفاع بجهاد الحرب وأول فضيلة يذكرها فى شأنه هى تخصيص الله البشرى للذين يمارسونه وإعتبارهم تجار لن تبور تجارتهم لأن أول من في حاجة إلى بضاعتهم هو الله الذى عاقدهم على شرائها

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٦.
(٢) د. ضو مفتاح محمد: مرجع سابق ، ص ١١٦
(٤)سورة البقرة الآية ٢٥٦ .

بأثمان لا مثيل لها ، أثمان قابلة للإستثمار وجلب الفوائد والأرباح لأن رأس مال هذه الأثمان هو الجنة(١) .

فقد إقتبس الشيخ من الآية القرآنية التى تقول ﴿ **إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل** ﴾ كما تمسك أيضا إعلانا وتعبيرا عن إرادته القيام بالحرب أو الجهاد وإثباتا لشرعيته بقوله تعالي ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله نصرهم لقدير** ﴾ .

والجهاد هنا عنده يكون بالنفس وتقديم المعونة المادية والمعنوية لانجاحها . وهؤلاء القائمون بهذه الحرب نفسيا وماديا ومعنويا بالإضافة رضى الله عنهم ولهم أيضا الشفاء وعقبى الدار .

ويقول عمر الفوتى فى هذا الشأن(٢).

أما جهاد الحرب فأعلم أنه　　فرض كفاية وأعظم شأنا

إعلم ياأخى أن الرحيم بشرا　　أهل جهاد الحرب ثم اعتذرا

إذ أنبأ الله بأنه اشترى　　نفوسنا ومالنا وأخيراً

إن الجنان رأس ماله لمن　　يقاتل الكفار حبذا الثمن

له واحد وأثنان مع سبعين　　من أهله الخاص والأقربين(٣)

كما يرى الذى يمتنع عن الجهاد مع الاستطاعة يحرم عليه المواطنة لأن حكمه حكم المنافق مما يعنى أنه يصح التطبيق عليه حكم الحرمان من الانتماء لجماعة المسلمين .

ويقول رضى الله عنه :

---

(١) د. مفتاح عمد : لمرجع سابق ص ١٢٥ .

(٢) إبزاهيم تيام مرجع سابق ص ١٢ .

(٣) الحاج عمر الفوتى : تذكرة القلوب .

خـاف منـافق من الممـــات قبل تمام أجـــل الوفات

يظـن أن أجـــل الإنســان يزداد أو يكون بالنقصان

بل جعل نجاحه فى التخـالف عن المعـارك بـلا التوقف

ولكن المنافقـون بعـد إخـلائهم من دار المسلـمين وتمييـزهم عـنهـم يمكن بـل يجب إعـلان الحرب ضـدهم لأن بقبـول الإنفصـال عن المسـلمين يعلنـــون بذلك عن نـبذ مـبادىء المسـلمين والخـروج عن دائرة معـتـقداتهم. وبالتـالى يشـكلون خـطرا عليـهم وخصوصـا بعـد أن عـرقوا أسرار عقر دارهم من قبل . ويقول الشيخ :

رضى بالسخط والعتاب هارب يوم الزحف والعذاب

كمـا يرى أن الحرب يجب إعـلانها على الذين ينكرون المسلمين ويسعـون بالفسـاد بينهم ومن ذلك نفـهم أن الجـهـاد المعنى هو الجـهـاد للمـبـادئ إن الذين يقـفـون أمـام معتقدات المسلمين ويقومون صدا عن نشره أولئك هم المفسدون حقا وهم بالضبط موضع رماح المسلمين وسهامهم وسيوفهم وهم أصحاب السلطة الجائرة يدعـون بوجود علوم أخرى يجب الاحتكام إليها دون شريعة الله ، والقيام بالحرب ضدهم واجب ومن أمتنع عـن مـحاربتـهم مع القـدرة يكون له الويل وسخط الله ويقـول الحـاج عـمـر فى تذكـرة القلوب :

تبا لمن مكن فى البلاد ولم يغـير منكر العباد ما أفسد الدين سوى الملوك وعلماء السوء بلا أفوكا

ومن هنا يتبين شروط وجوب الحرب للمبادئ شروطا متواجدة فى الزمان والمكان . والجهاد للمبادئ يمكن أن يكون بالنفس أو بالمال وبالمساعى الحميدة المقصودة كالوعظ والتبشير .

أما أسباب قيـامه بالجهاد فـهى تعـود إلى الوضع الراهن فى منطقة غـرب أفريقيـا حيث توجد بلدان إسلامـية فى كل من فوتا تور وفوتا جلون وماسنة وتقع دول أخرى مشتركة وقوية بين هذه الدول الإسلامية المذكورة بل تسيطر على المنطقة بشكل ما .

وكان الوضع السائد فى المنطقة أن الاستعمار بدأ يكتسح المنطقة غربا وجعل يتعامل مع بعض الدول بالمعاهدات التى تهدف إلى الاستعلاء عليها والحال أن المسلمين ما كانوا والوضع الجغرافى على ما عليه اليوم أن يواجه الاستعمار بشكل مضمون ، فأصبح من الوارد محاولة ربط أجزاء الدول الإسلامية ووضع المنطقة كلها فى دولة إسلامية قوية منيعة قادرة على مواجهة الاستعمار الغربى ودمر قواته ، وإعلاء كلمة الله على أرض أفريقيا وربط هذه الأراضى إلى الإراضى الإسلامية فى الحجاز وشمال أفريقيا وغيرها . وهذا الإتجاه هو فى رأيى ورأى البعض هو الذى حمل الحاج عمر على صهر جهاده فى هذه البوتقة ودك عروش الشرك وتوحيد كلمة الشعوب الأفريقية تحت راية الإسلام الخفاقة .

المبحث الثانى : جهـــاد الحاج عمر من ناحية التطبيقية

أولاً : جهاده ضد الوثنيين

وبالجملة مكث الحاج عمر فى «ديغيراى» لمدة ثلاث سنوات فى الوعظ والإرشاد والتدريس والتربية الروحية كما تعاطى خلالها الاهتمام بالحصول على الأسلحة والعتاد لحماية جماعته والمسلمين . ذلك لان بعض جيرانه كثيراً ما يقومون بشبه غزوات والإعتداء على الآمنين العزل عن السلاح فامتثل بمعنى الآية الكريمة : **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون بها عدو الله وعدوكم ﴾** (١).

وهكذا قام الحاج عمر بجولاته فى المنطقة وصلت بة إلى كل من المستعمرات البريطانية فى غامبيا و البرتغالية فى غينيا بساو حيث أشترى عددا من البنادق والسيوف والرماح والحراب والنبال ، والذخائر الحربية ويتم شراء هذه الأسحلة المتطورة بالدفع نقدا أو بالتبادل بينهما بأنياب الفيله التى كان المستعمرون يرغبون فيها .

ولما سمعً « يمبا » ملك تمبا بوجد الأسلحة عنده طلب منه تسليمها إليه عنوة ولكنه قبل لمدارته . ثم بعث يمبا وفدا مرة ثانية يتكون من : جل مسىً وفرنتكما ومامادى

---

(١) سورة الأنفال

ملفتا » ، فهؤلاء هم الوفد الذى جاء من قبل يمبا إلى الحاج عمر ليطلب منه تسليم كافة الأسلحة وصنعها. فجمع الحاج عمر كبار مستشاريه وهم أحمد أمكل ممثلا للمجاهرين وألفا سوسف ومحمد سيد نيك ممثلان للأنصار ، رأى ممثلاً فوتاً جلون بأن لا طاقة للشيخ واتباعه وهم قلة برفض طلب الملك يمبا نظراً لتفاوت القوتين بينما رأى أهل فوتا تور بأنه على الرغم من عدم التفاوت الواضح بينهما فإن حماية النفس والأهل والمال واجب دينى وإنسانى ثابت فعليه لا يوافقون على تسليم أسلحتهم إلى من[1].يغزوهم بها فرأى الحاج عمر بأن البت فى تباين . وجهتى نظر مستشاريه يتطلب التريث والاستبصار والتدقيق وخاصة عندما أبدى أحد الأعضاء وهو « جل مسى عن عزمه فى اعتناق الإسلام حيث أوصاه الحاج عمر بالعودة مع زملائه حتي إذا أراد وهم فى طريق العودة أن يرجع إليه وحدد ليسلم سيكون ذلك أخف مما لو أعلن إسلامه وبقى هنا مباشرة ذلك خطأ ويقال بأنه هو الذى أجبر على اعتناق الإسلام ، وفى ذلك ما فيه من عواقب يجب إحتسابها .

فلما رجع الوفد إلى يمبا مع غياب حل مسى الذى قطع طريق عودته ورجع الى الحاج عمر أحدث ذلك غضباً شديداً لدى الملك يمبا مما حدى به إلى تشكيل وفد آخر أكثر عدداً وأتم عدة يتضمن الاثنين اللذين كانا مع الوفد الثانى ووكل هذ الوفد الأخير مهمة أخذ الأسلحة كلها إليه وإرجاع «حل مسى» معهم بالقوة وبعد وصول هذا الوفد إلى المجاهد الحاج عمر جمع رؤساء مستشاريه مرة أخرى ليعرض عليهم محتوى مهمة الوفد الجديد الذى أرسله يمبا إليه فأبدى أهل فوتا جلون الرأى الذى أبدو به من قبل بينما ثبت أهل فوتا تور على رأيهم كذلك مؤكدين هذه المرة على أنه لا يوجد أى دليل نقلى أو عقلى يسمح لهم بإعادة المسلم إلى الكفار ولو أدى ذلك إلى فنائهم وحينئذ دعى الحاج عمر أعضاء وفد يمبا إلى المشاركة فى جلسته الاستشارية ليسمعوا ما قاله فريقان وليصدر هو الآخر حكمه على القضية . ولماكرر الفريقان ما قالاه من قبل أخذ الحاج عمر الكلمة وأكد على رأى الفريق الرافض موقنا بأنه أنسب للموضوع ولو أنه

---

(١) الشيخ موسى كمرا مرجع سابق ص ٨

يعرف حقا أن الرسول كان فى ظروف مماثلة فقد قبل مضطرا لاعادة المسلم إلى المشركين كما ورد فى نص إتفاق صلح الحديبية[1] بيد أن الفرق بين طبيعة الخطاب فى صلح الحديبية وطبيعة الخطاب التى تأتى به بعثات يمبا هو أن الأول يتضمن نقاطا تحتوى على المصالحة والثانى لا يتضمن إلا على التهديد والإرهاب ولذلك رفض الحاج عمر وأختم كلمتة ليس بينى وبين الملك إلا الجزية .

وهكذا عاد الوفد إلى مراسلة المالك يمبا الذى بمجرد ما بلغه الخبر ثارت وتوعد الحاج عمر بالويل والثبور وأستنفر كافة مماليك الشر المجاورة إضافة إلى عملية التجنيد الإجبارى لكافة سكان مملكته القادرين على حمل السلاح .

وبهذا جهز جيشا جرارا قصد الانقضاض على « ديغيراى» وتخريبها بمن فيها .

ظل الحاج عمر فى هذه الأثناء متحليا بالصبر والصمت وكان قد بنى حصنا منيعا حول « ديغيراى» نظراً لشعوره بعدم الأمن إزاء هذه التهديدات المتكررة وهذا الإرهاب السافر. ومع ذلك كان قد أوصى أصحابة من المهاجرين والأنصار بالتغامض عن الاعتداءات والكلام السئ الذى يأتى من طرف أعدائه وذلك تجنبا لإثارة الفتنه علما بأنه أكد غير ما مرة بأنه لم يحصل على أذن خاص للجهاد ولذا عندما شنت قوات يمبا هجوما على « ديغيراى» بعد محاصرتها مدة كان يحذر هؤلاء الغزات من مغبة الأمور كما كان يوصى أصحابه بأن الصبر ولو أنه مرير فهو سيبقى دائما مفتاحا للفرج ، لما قامت قوات يمبا بقتل بعض أصحابه ضمن هجوم يوم الأربعاء الشهير الذى باغتته به قوات يمبا بعيد الفجر عام ١٢٦٨ هـ قال الحاج عمر كلمته الشهيرة : « لقد كنت دائما أقول لكم بأنى لم أحصل على أذن خاص بالجهاد ولكن بمقدورنا جميعا الاعتماد على قوله تعالى : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله علي نصرهم لقدير ﴾ . ومن هنا أصدر الأمر على المقاومة وسد الظلم ورد الضلال فكانت معركة حامية الوطيس رجحت فيها كفة المسلمين على قلة عددهم الذى كان ٣١٣ رجلا بينما قوات يمبا كانت تفوقهم كثيرا عددا وعدة .

---

(١) د . . الرسول والسياسة الدولية.

ثم وضع الشيخ استراتيجة عسكرية جديدة لمواجهة غزوات يمبا المتكررة كما أرسل عدة سرايا إلى عدة مدن بما فيها مدينة سنت حيث كان مود عمد جم قائدا بتلك السرية التى انتصرت وأستولت على كافة البلدة مع استشهاد بعضهم بمن فيهم الشيخ محمد الأمين التلرى وشيخ أحمد هاير لاو اللذان نقلا إلى « ديتغيراى» حيث دفنا . ثم أرسل رضى الله عنه سرية إلى تمبا فأندحرت وأرسل ثانية هزمت قوات يمبا حيث أسر أكثر من ثمانين رجلاً . ومن هنا قام يمبا باستنجاد الممالك المجاورة بما فيها مملكة بانجوغو ملك « قفد» وأرسل إليه إمدادات عسكرية هائلة وبمقابل هذا الوضع قام الحاج عمر بنقل ميدان المعارك إلى عاصمة تمبا فجعل يعظ جيشه كعادته ويهنىء رجاله بعد ما بشرهم بأن الله تعالى قد أعطاه مدينة تمبا وأمرهم بالاستعداد والتأهب والتوجه إليها مباشرة فلما وصلوا إليها ضربوا حولها الحصار وكان الملك يمبا قد بعث إلى بانجوغو الذى تربطه به روابط أسرية مالا كثيراً كما بعث إلى غيره أمولاً كثيرة طلباً للنجدة كما أسلفنا .

وأثناء هذه التحرشات العسكرية بين جيش الحاج عمر من جهة أخرى قال الحاج عمر : « لقد علمنا الله بأن الكفار سيهاجمون جيشنا يوم الخميس فأرسلت عدة رسل إليهم ليمكثوا على أماكنهم وليثبتوا ويصبروا حتى يمضى يوم الخميس فلم يفعلوا وعلمنا الله فى ليلة الأثنين عشر ذى القعدة ١٢٦٨ هـ بعد صلاة العشاء بأنى أذنت فى الجهاد فى سبيل الله جاء هذا الإذن من هاتف ربانى يقول : « أذنت للجهاد فى سبيل الله وتكرر الهاتف ثلاث مرات»[١] . وبذلك يقول الحاج عمر : بأنه أرسل إلى الجيش الأسلحة وأمر حاملها ألا يبيتوا ليلة الخميس إلا فى الجبهة فأى مخالفة لهذه الأوامر تتحمل مسئولية مايصيب رجالنا ، والغريب أنهم خالفوا إذ لم يصلوا إلى الجبهة إلا وقت الضحى من يوم الخميس والحال أن رحى الحرب والقتال فى أشد أوجها ذلك لأن مدد الكفار قد وصل إلى يمبا وجعل يستخدمه وبالفور وصل الحاج عمر نفسه إلى الجبهة وإستلم القيادة وحرض الجيش على إحدى الحسنين إما النصر وإعلاء كلمة الله وإما الاستشهاد ودخول الجنة .

---

(١) محمد الحافظ مرجع سابق ص ١٩ .

وأستمر القتال ومعنويات رجال الحاج عمر فى أعلى رتبتها مما سبب إنتصارهم على جيوش الكفار واستسلام الملك وإعلانه عن إسلامه بين يدى الحاج عمر الذى امر صاحبه سليمان غسم البقاء معه لتلقينه أمور الدين .

هذا ويذكر المؤرخون بأن يمبا قد خان معلمه وقيده ثم فر هاربا إلى الملك بانجوغو قصد الخداعة والاستيلاء على ملكه ولكن الملك فهم نواياه فتفادى دون الوقوع على فخه ورد كيده على نحره واستقبله فى قصره وامر بقتله .

ولما رجع المعلم سليمان غسم إلى الحاج عمر الفوتى أخبره ما جرى له ثم أرسل الشيخ عمر رسولا إلى بانجوغو يطالبه بتسليم مال وأمتعة محاربه الذى أسلم على يديه ، ويقال أن بانجوغو قتل رسل الحاج عمر وظل يهدده ويتوعده قائلا : « إنك لمطلوب فكيف ترسل إلى وتطالبنى بمال محاربك»(١) .

وفى هذه العبارة تجد نوعا من الاستخفاف والتهكم والسخرية كما تجد فيها تهديدا مكشوفا لاقناع عليه .

كان هذا وقت الخريف فشرع رضى الله عنه فى تجهيز جيشه ثم نشبت معركة شديدة بينهما أنتهت بمقتل الملك بانجوغو ومن معه من الكفار. ثم عاد الحاج عمر بجيشه إلي « ديغيراى» تهزهم مشاعر النصر وذلك فى ١٨٥٧/٥/٢٠م الموافق ١٢٦٩ هـ، فبعد خمسة أيام من وصول الحاج عمر إلى « ديغيراى» مغتبطا بهذا النصر وصل ألفا عمر جيرنو بيلا إلى نفس المدينة يقود جحافل إمدادات فوتا تور إلى الجيش العمرى. وهذه الجحافل كانت قد مرت بأهل قرية فنبنت فحاربوها إنتصرت عليهم وحازت غنائم وأسلاب كثيرة ولما وصلوا إلى « ديغيراى» عاشت المدينة فرحتين: فرحة الانتصار على بانجوغو وقدوم ألفا عمرعلى رأس أكثر من ثلاث مائه مقاتل، وهكذا طهر الله بهم الأرض بمقتل ملكين من ألد أعداء الدين وهما: « يمبا ساخو وبانجوغو». وبعد قليل من هـذا قدم الإمام أحمد بوب وألفا عباس ومحمد الأمين بسمور من

---

(١) جيرنو منتقى تال، جواهر الدرر فى سيرة الحاج عمر، مرجع سابق، ص ٣١٣ .

فوتا تور فزاد هذا المقدم حالة قوة الحاج عمر عزة وقدرة وصلابة وإستمرار الحرب. ومن هنا ارتحل رضى الله عنه إلى تمبا[1] حيث ترك أسرته فى «ديغيراى» .

وفى تمبا مكث ثلاثا وعشرين يوما ثم انتقل إلى سلوج ثم إلى كونجونغ فعبر نهر غلوماج عبورا محفوفا بالعجائب حيث ألقى فرسه فيه وأمر أصحابه باتباعه فكان النهر قد توقف وغار فعبره جيشه ثم انتقل إلى برمبا فوجد أهلها قد هربوا إلى سر من وجهز جيشا بقيادة أحد قوادة مسار متجها إلى مركز مدينة سرمن وقاتل ملكها سنكم الذى رفض الإسلام فقتل .

فبانتصارهم على سنكم عم الفرح بعد معركة شديدة دامت خمسة أيام .

ثم وجه الحاج عمر عدة رسائل إلى فوتاتور حملها أمنائه يدعو الفوتيين إلى الجهاد فى سبيل الله وأثناء ذلك كان يستعد لمحاربة كنجورا ملك فربن الذى يشتهر بالسحر الأسود من تسليط الحيات على الناس وتسليط الأمراض الفتاكة عليهم فبمجرد إنتشار هذا الخبر دب القلق والرعب فى صفوف المسلمين مما جعل الحاج عمر يستعمل علم الأسرار وخواص الحروف بدلا من خوض الحروب .

ودخل الشيخ خلوة لمدة شهر كامل حتى أنقاد له الملك بنفسه وبايعه بيعة الإسلام وأخلص توبته وحسن إسلامه.

والأمر الثانى الذى حدى بالحاج عمر إلى استعمال الأسرار لإخضاع هذا الملك كنجورا هو أن قوات جيشه من أصل فوتاجلون الذين كانوا يعرفون هذا الملك أكثر وجلين من مواجهة كنجورا فلو أن الحاج عمر قد اعتمد على قواده من أهل فوتا تور ولو تم له الانتصار العسكرى فإن غيرة ما ومنافسة شديدة سوف تندلع فى صفوف جيشه مماقد يتسبب فى إختلال النظام وفقدان الانضباط العسكرى الذى هو المصدر الأساسى لقوة أى جيش فى العالم .

---

(١) مقابلة مع بيدياص ، مصدر سابق .

وهكذا دخل هذا الملك فى الإسلام وبدا يتعرف على حقيقة هذا الدين والدعاة إليه ولكن النفس البشرية كثيرا ما تحن إلى المألوف فأراد أن يعود إلى عاصمته فربنا . فقرر الحاج عمر وضعه فى موكب يتألف من أربعة مائة جندى (٤٠٠) كما أنه أمر خمسة مائة جندى (٥٠٠) للذهاب إلى فربنا قبل مجيئه هو الحاج عمر إلى فربنا إذا أنه يأتى على رأس جيش يعد أكثر من أحد عشر الف جندى (١١٠٠٠) الذين كلهم تواجدا فى عاصمة (كنجورا) وكان عدد الجنود فى هذه المناسبة ١١٩٠٠ جندى[١].

وخلال هذه المدة كان الحاج عمر فى إستعداد لمواجهة ملك يدعى (بركة سوكنقل) ملك مكن فإذا سمع نبأ ألفا عمر جيرنو بيلا ومعه إمدادات من فوتا تور وأمر الحاج عمر ألفا يعبد أن يستقبلهم فكان يشبه الحاج عمر بوصول المهاجرين عم الفرح أيضا فى أوساط الجنود وفرح الحاج عمر نفسه[٢] وكانوا يتألقون من عدة ألوية: لواء فولى: سكان البدو ولواء توروبى سكان الحضر ولواء سبى المحاربون . وكان هؤلاء الجدد متحمسون فأعد الحاج عمر جيشا بقيادة مودى محمد جم إلى (الملك بركة) فهو ذو نفوذ قوى بدأ يهدد تقدم الحاج عمر فى المنطقة فأمر قائده أن يدعو بركة إلى الإسلام ولكن الملك كان عنيدا فأجابهم من هو الله وذلك عندما طلبوا منه الدخول فى دين الله بل بعث وفدا إلى ما مادى كنجا ملك انيور ويطلب منه الإمدادات عسكرية ليحارب الحاج عمر ولكن قبل مجيئ الإمدادات وقعت الحرب بينهما فقتل الملك بركة فى هذه المعركة. فلما استتب الأمر إنتقل الحاج إلى مسالا ودرمى فبايعه أهل هذه القرى جميعا وفيها التقى بجيش ما مادى كنجا ملك انيور الذى جاء لمساعدة الملك بركة الذى تم قتله من قبل فاشتبكت الجيشان فى ستكلى ونظرا لكثرة جيوش ما مادى أمر الحاج عمر أربعة الآف جندى ضدها بقيادة أحمد علو وأحمد آل جليا بعبور النهر فعبروه ووجدوا على الشاطى الثانى جيوشا تفوقهم عددا وعدة ولكن سلاح الإيمان الذى لايقدر وحده شحذ عزيمة المسلمين فكانت معركة من أشد ما خاضته جيوش المسلمين من قبل وبعد فانتشرت أشلاء القتلى من الطرفين وأحمرت مياه النهر بدماء مختلطة بين شهداء

---

(١) بيد باص مرجع سابق .

(٢) أبو بكر خالد

المسلمين وقتلى الكفار. فالجثث منتشرة من هنا وهناك بين عائمة فى المياه على غير هدى وقابعة تحت الأشجار وفى العراء على اليابس بيد أن الحرب مهما طالت فلها نهاية ولم تكن نهاية هذه الحرب كبدايتها إذا إنتهت بانهزام قوات مامادى كنجا وإنتصر المسلمون بفرار قواد جيش مامادى ومن هؤلاء إبنه ينفل ، مع قلاج ديسا .

عندما علم الحاج عمر بالأمر الواقع جاء فورا إلى ميدان المعركة وتفقد جثث الشهداء وأجرى لهم مراسم الدفن فى موضع كايل ودعى لهم بالخير كما حث على التبرك بهم لأنهم شهداء عملا بقوله تعالى ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ صدق الله العظيم .

وهكذا إتخذ سكان كاى هذا الموضع مقبرة يدفنون فيها موتاهم تبركا بأرواح الشهداء إلى هذا اليوم .

وهكذا أمر الجنود بالراحة كعادته كلما انتهوا من معركة شديدة ثم أصدر قرار لإرسال ألفا عمر جيرنو إلى الثغور للاستطلاع وذلك لتوفير أسباب الأمن فذهب ألفا عمر وعاد بمجموعة من الناس والمال فدخلوا الإسلام وأطلق الحاج عمر سراحهم وحثهم رضى الله عنه على التمسك بالدين والعمل بمقتضى الشريعة المحمدية ومن هنا إنتقل من « كاى» إلى كل من « كنم كنا » ومارى قبل فرضه الحصار على كنكار التى وجدها شبه خاوية إذ فر السكان إلى الجبال ومنهم الملك مر باسافر .

قام الحاج عمر بتعقبهم إلى الجبال ودعوتهم إلى دين الله الحنيف وافق بعضهم على إعتناق الإسلام ومنهم الملك مربا الذى أتفق معه على بناء سور كبير فى كنكار قبل مواصلة السير إلى كل من ملو وبصير وباقى حيث بايعه أهلها ، فمنهم إلى بامن حاضرة مى مربا الذى وقف أمام الحاج عمر وعزم على سد طريقه ومنعه من نشر دعوته مما أدى إلى اشتعال نيران الحرب بين الطرفين وأنتهت بمقتل الملك. ثم إتجه رضى الله عنه إلى مدينة كتا حيث واجهه ملكها صمبا بلى بإعلان الحرب ولكن أنتصر عليه الحاج عمر وإتجه بعد ذلك إلى تمينكا حيث بايعه ملكها كنكعل ولكن قومه فروا إلى

مدينة جوكا وأمر الحاج عمر الملكب إعادة قومه لكى يدخلوا فى دين الله، ولم يجدهم الملك فى هذا المكان لأنهم فروا إلى انيور عاد إلى الشيخ فأخبره ثم دعا له رضى الله عنه بالسعادة واليسر والبركة وارتحل إلى « قومك» ثم بسبقوا » وإلى « بيداج» حيث بلى جنده بعطش شديد ولكن أظهر رضى الله عنه ومضة من الكرامات الربانية بغرس عود ودعا دعاء الإستسقاء الذى ما أني إنتهى حتى نبع ماء كثير ارتوى منه الجيش واغتسلوا واستعادوا بذلك نشاطهم ويسمى هذا المكان حتى الآن « ويدو فابو» بلغة « بولار» يعنى نهر الإغاثة.

ومن « ويدو فابو» استعد الحاج عمر لمواجهة ماماد كنجا ملك انبور ولكن مع شدة هذا الملك وقوته وضربه فى أعماق ما كان يعرف بالاصالة والابان أدرك حقا بأن الشيخ استولى علي بعض أطراف مملكته وأن المرحلة القادمة سيكون عليه وأنه لا منجى له ، جمع هيئته الاستشارية وقال لهم : « تعلمون أن حملة الحاج عمر لم تقابل ملكا إلا هزمته ولا عرشا إلا دكه اللهم إلا إذا دخلنا فى دينه فما رأيكم والشيخ عمر على حدود أرضنا » أجابه مستشارية : « بأنه حقا قد وقف إلى الحق وبعبارة أخرى الحل هو الدخول فى الإسلام والاستسلام للحاج عمر لأنه هو الأمر الواقع » .

ما أكبر الفرق فى بداية الحادث والفرق فى نهايته بين هذا الملك مامادى كنجا وبين ملكة سبأ بالقيس التى سألت قومها بمجرد وصول رسالة سليمان عليه السلام يدعوهم فيها إلى الإسلام حيث أبدى قواد جنودها ميلا إلى إستعراض العضلات وإظهار القوة بقولهم ﴿ نحن أولو قوة وأولو بأس شديد فالأمر إليك فانظري ماذا تأمرين﴾ الآية[1]، ولشدة ماياندهش الإنسان أمام مفارقتين أثنتين الأولى : مفارقة معرفتها بطبيعة الملك حيث قالت ﴿ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾[2] .

---

(١) سورة النمل .
(٢) سورة النمل

والمفارقة الثانية تكمن فى محاربة عرض هذا الوضع فى مجهر التجربة والاختبار بقولها : ﴿ فإني مرسلة إليهم بهدية فناظره بم يرجع المرسلون﴾ الآية(١).

هذا عن بلقيس فى قصة دخولها فى الإسلام على يد نبى الله سليمان بن داود عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ودخول مامادى كنجا فى الإسلام على يد الحاج عمر الفوتي عندما وصل إلى بلدة « كرهر» الواقعة على مشارق انيور حيث خرج الملك وحشده لاستقبال الشيخ وأبدى أمام عمر الفوتى رغبته فى إعتناق الدين الإسلامى كما رحب بالمجاهد رضى الله عنه فى مملكته فوصل الضيف الكريم وأجرى للمسلم الجديد كافة مراسيم توبته ثم رجعوا معا إلى العاصمة انيور فاختار الشيخ عمر أن يكون أول من يدخل القصر لتنظيفه من الأوثان والأصنام التى كانت فيه وأمر إخواته الجدد فى الإسلام بالبقاء على حد الشريعة فى النكاح وغيرها وبذلك طلق الملك المزيد من نسائه الأربع . وفعل معظم قواده مثل ذلك ماعدا قيلا جودين فى كلمى الذى استقبل ألفا عمر جيرنو بيلا بصفته مبعوثا من الحاج عمر و مامادى معا .

وعندما ما جمع قيلاديس قواده للاستشارة أتهم المسلمين بأنهم ما جاءوا إلا لطلب النساء كما أمر الناس الذين نزل عليهم بقتل كل ضيفه وسيكون هو أول من يبدأ بالعملية وبلغ هذا الخبر ألفا عمر من طرف إمرأة ، وفورا التقى بأعضاء وفده وحثهم بأخذ الحيطة من جميع الجهات .

ولما قام قلاجو بمحاولة قتله وتسلل إليه ليلا وجده يصلى وأطلق عليه عدة طلقات ولما سلم الشيخ ألفا عمر رد عليه بالمثل فأرداه قتيلا ، ومن هنا بدأت حملة ارتداد أهل جاورا الذين أثاروا علي الحاج عمر ووضعوا دسائس من أجل اغتياله فأرسلوا رجلا وأمرأة ولكن إنكشف أمرهما فقتلا .

وبين مظاهر هذه الثورة وتلك النقمات محاولة المرتدين محاصرة الآبار ونقاط الماء لتعطيش المسلمين ولكن تم تقويض ذلك من طرف المجاهدين .

---

(١) سورة النمل

وإلى مدينة فيمن حيث كان القائد ألفا عمر جيرنو بيلا فى حصار دام شهرين. أرسل عمر قوات لفك هذا الحصار ولكن الحرب التي دارت كانت أشد وأخطر النتائج على المسلمين إذا استشهد فيها حوالى ألف شهيد بمن فيه بعض كبار القواد مثل « حمد فانى وسالف حمات ومحمد آل بوكر ومحمد كبا إلمان» كان هذا عام ١٢٧٠هـ الموافق ١٨٥٥ م حيث بعث رضى الله عته كتيبة أخرى بقيادة تفسير مالك قرلاج هذه الكتيبة نجحت فى مهمتها ودمرت فيمى بكاملها غير أنها منيب ببليه أخرى عندما جاوزت مدينة كنجار التى كان الشيخ المجاهد حذر قائده تفسير مالك من مجاوزته وبذلك بلغت خسارة هذه الكتيبة ٥٠٠ رجل بمن فيهم المجاهد الشهير والفارس المغوار « بوتل سوهاك» .

أما القائد تفسير فإنه آل على نفسه بعدم ملاقاه الحاج عمر إلا فى الأخيرة وذلك لفرط ندامته على مخالفته أوامر قائده ولما ثبت عنده بأن الرائد لا يكذب أهله ولذا فبمجرد ما عصى فندم فجاء عبد الله حوص فهاجم على كنجار حتى أنتصر عليهم ثم عاد إلى انيور فوجد الحاج فى إستعداد إلى « بساق» حيث يوجد كرفك وأخوه فامتنع كرفك أن يتراءى معه فولى هاربا وإتجه رضى الله عنه إلى ملك دوس ننكتو فحاربه فحول أسم المدينة إلى جنفرد (أى المدرسة) ثم إتجه إلى مدينة كريق حيث اندلعت الحرب بين الجانين من الفجر حتى المساء فكانت لصالح المسلمين. ومن هنا سجد لله سبحانه وتعالى سجدة الشكر وقال كلمته الشهيرة : « لن أقاتل أرض انيور وضواحيه بعد اليوم» ومن ثم أخذ قسطا من الراحة والتفكير فأبصر بأن جهاده وصل إلى مرحلة دقيقة لأنه يجد نفسه أمام أقوى دولة فى المنطقة والجيب الوحيد المتبقى الذى يجب عليه إستئصاله ، ووضع دين الله فى قالب وحدوى يتمتع بالقوة والمناعة تحسبا منه على ما قد يكون من ضرورة مواجهة القوي الاستعمارية التى تدب إلية وابتلاعه .

فوجد أن هذه المهمة تحتاج إلى إيجاد قوة تتألف من أصل المنحدرين من إصلاب الإيمان ولا يتوفر له ذلك إلا بالعودة إلى فوتاتور أضف إلى ذلك كون مملكة سغو متحالفة مع عدد من الدول الكبرى والدويلات الصغرى المجاورة التابعة لها بما يحمل على أن يحسب له حساب خاص ولذا وضع خطتين استراتيجيتين قيمتين تقوم إحداهما على تنظيم المناطق التى تم فتحها واستخلاف قوات تتوفر مواصفات لديهم قيمة

والعلم والوفاء كما وضع فى مدينة انيور خليفة عامة ينوب عنه لغاية ما يرجع من رحلة الاستنجاد والتجنيد الإجبارى فى أرض تور .

أما الخطة الثانية فهى تترتب على إيجاد عيون له فى كافة الدويلات وفى مملكة سغو المتبقية مع تجنب الوقوع فى حرب ضد دولة إسلامية فى ما سن . علما بأنه عند وضعه لهاتين الخطتين كان قد أرسل إلى كافة الدول الإسلامية القائمة فى ذلك الوقت رسائل تهنئة لإنتصار الإسلام على الوثنية .

أما الدول التى وجه إليها الرسائل هى : دولة الأئمة فى فوتاتور الدولة الإسلامية فى فوتا جلون والدولة الإسلامية فى ماسن إضافة إلى الدول الإسلامية فى المغرب عند البياضين .

بيد أنه فوجىء برد من دولة ماسن يتضمن كلاما بشعاً من الشتائم والتهديدات السافرة إضافة إلى كون السرية التى تحمل هذه الرسالة تتألف بلواء كامل من الجنود المسلحين الذين اتخذوا بلدة دكن معسكرا لهم بقيادة عبد الله بن أبى بكر همصالح أستمرت هذه السرية فى الزحف نحو معاقل الجيوش العمرية وكان الحاج عمر قد سمع هذا الخبر فأرسل إلى قائده ألفا عمر جيرنو بيلا الذى كان فى سنفع بعد استيلائه على بساق وأمره بملاقات الجيوش الزاحفة إليه متحالفة مع قوات الكفار الوثنيين ضد الحملة العمرية وكان اللقاء مريرا تقاتل فيه الجيشان إنتصرت قوات الحاج عمر على القوات الماسنية المدعومة بقوات الكفار وتم فى هذه المعركة أسر عدد كبير من الماسنيين بمن فيهم قواد بعض الفصائل . القائد الأعلى للسرية إلى ماس . وكان ذلك عام ١٢٧١ هـ الموافق ١٨٥٦ م .

ويستخلص من هذه الواقعة أن الحاج عمر قد فشل بعض الشئ فى كفادى المصادمة مع قوات ماسن فى خطته الثانية ولكنه نجح فى البقاء على حد الشريعة وفى ضوء منطق المعقول لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ **فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عليكم** ﴾ الآية . ولتأكيد ذلك نورد ماقاله الحاج عمر عن أسباب

وقوع أحمد بن أحمـد عليه وهذا ملخصهـا: قال «لما أعاننا الله على جهاد المشركين وأقامنا لهدم دولة المتكبرين وفتح لنا تمبا إلى فقد وسلوج وكنجا وبرنبا وسرمن إلى فربنا ويلمان ومدينة كتا وانيور وكلمى وفمى وكريف وساكول وكرت السودان ثم أقـامنا الله فى انيور ماشاء وكتبنا وثائق نبشر فيها جميع من نعلم من المسلمين وفوجئنا برسالة أحمد بن أحمد مع جيشه بقيادة عبد الله بن أبى بكر همصالح فنزل فى دكن فعسكر فيها وإتفق مع أهل باغن الكفار على محاربتنا»[1] ولو أنه أدرك تماما بأن هذه الدولة قد تعاهدت مع دولة الكفر فى سغو ضده لكانت مشاعر الأخوة الإسلامية تملئه كما أن الأحساس بضرورة عزل المشركين عن المسلمين حتى يؤمنوا وفى هذه الظروف وعلى هذه الدرجة من الفكر قرر السفر إلى فوتاتور بعد أن دخل جهاده فى عامة السابع فارتحل من تمبا تنت إلى فيسان ومنها إلى «كل قم» ثم إلى «قل قور» وإلى أرض « لوق» ومنها إلى سابو سرى وفيها وقعت الحرب بينهم وبين أهل المدينة، كما جهز حوالى ألفى جند بقيادة جيرنوجب فوقعوا على « فيل» كما وقعوا على قرية ستاج وأسروا على عدد لا يقل عن ٣٠٠ شخصا كما طلب الجنود من الحاج عمر إذنا بمحاربة مدينة «خاسو» حيث توجد القاعدة الفرنسية فأمتنع قائلا: لاقدرة لنا بمحاربة النصارى فأجابوا بأنهم من ضمن الكفار الذين يحاربون فألحوا عليه فأمر بفرض حصار على المدينة وعزلها حتى لا تصل إليها المؤن والامدادات من الخارج فعلم بذلك الحاكم الفرنسى العام «فدرب» فأنتظر مدة تمكنه الوصول اليهم، وهكذا أبحر الحاكم الفرنسى بسفينة حربية تحمل الإمدادات العسكرية فلما أقترب نظر إلى القاعدة عبر المنظار فلوح إليه « بول هول» بلواء الفرنسى. وهكذا حاول بعض جنود الحاج عمر الهجوم على المعسكر الفرنسى وعلى رأسهم «حمات كرون» المسمى بحطى ون فحاول التسلق على الجدار فأطلق عليه المدفع الثقيل فأردى قتيلا كما قتل عدد كثير من جنود الحاج عمر فى تلك المعركة[1] .

---

١ - محمد الحافظ التجانى مرجع سابق ص ١٥ - ١٦ .

وفى مدة إقامته رضى الله عنه فى مدينة « سابسرى» ويحارب جبهتين الوثنيين السود ، من جانب والقوة الفرنسية من جانب آخر وصلت إليه رسالة ثانية من أحمد بن أحمد تتضمن الشتائم والتهديدات كالأولى ويأمر الحاج عمر بالإرتحال عن تلك البلاد والإعتزال عنها فورا[٢] فقال الحاج عمر (فنظرت إلى الوثيقة فوجدتها كالأولى فأعرضنا عنها وكتبنا إليه جوابا يليق أن يصدر منا وملخصه « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى جعل لنا سعة فى قتال أعدائه الكافرين عن قتال أوليائه المؤمنين وعلمنا ما كملنا ولا نكمل قتال الكافرين المجرمين فأغنانا بذلك عن قتال المؤمنين» اللهم صلى على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق . . الخ .

فواصل رضى الله عنه سيره إلى فوتا تور عبر بلى بن ، سمسم ، نمرد ، برط ، ويكل ، وأنجوار وصلى فيها عيد الفطر عام ١٢٧٣ هـ الموافق ١٨٥٨م وهكذا إتجه الحاج عمر إلى لوبالى ، وهرندلد ، وسنشوبمى، عوغو، وبوكجوى، وبيناج، وإلى آنجم شطى ، وشلن، وهورفودى سنة وبضعة أشهر ومنها إلى رضى الله: بت ، وقليا ، وبومبا ،وقلير، وإلى هايرلاو، وكان يحرسه حوالى مائة رجل ، ثم واصل السير حتى دطل «وألى ودباقى» وبات فيها ثم ارتحل إلى جم . وأمر أهل فوتا أن يهاجروا إلى انيور لأنهم أصبحوا تحت سيطرة النصارى . وفى مدينة « جم والو» اعتكف فى مسجدها ٤٠ يوما يبتهل ويتضرع إلى الله حتى استجيب دعاءه بامتلاك مملكة سيغوا القوية ومنها ودع أهل فوتاتور» عائدا إلى انيور. وتعتبر هذه الرحلة آخر رحلة قام بها رضى الله عنه لأرضه فوتا كما قلنا فقد ودع جم قاصدا قرية « شيلاو فأسس مسجدها ومنها إلى « جومندو و» دباغى» ثم « دطل» وهاير لاو وإلى مدينة جاجب، وقلير، ثم هورفودى وشيكيتى، وجفان، ثم إلى كنل وقجلن، وكودل « ثم تقر» وشنبق

---

(١) مقابلة مع بيد باص .
(١) جيرنو منتقى تال ، مرجع سابق ، ص ٤٠٨، ٤١٦ .
(٢) أنظر كتاب الحاج عمر : السيف الحق المعتمد فيما وقع بينه وبين أحمد بن أحمد .

ثم انجوار وصلى فيها أيضا عيد الفطر ذهابا وإيابا ثم بكل وقول هاير، فأمر سيرى آدم بانتظار أهل فوتا المهاجرين إلى أنيور فى قرية « ستكلى فهاجمه الحاكم الفرنسى» فدرب » واتبع سيرى آدم حتى إلتحق بالحاج عمر وأخبرة الأمر فكان أمر مملكة «سنغو» يشغله أكثر من غيره[1] فواصل سيره قرية بقرية حتى وصل انيور[2] فكان أهل فوتا قد اسجابوا لدعوته وهاجر معه عدد كبير من الرجال وعائلاتهم ، وتعتبر هذه المرة جيوشه فى أتم استعداد وعقد مؤتمرا عاما فى انيور بقيادة أحمد يربه، فوجه رضى الله عنه خطابا تاريخيا أمام جيشه وحثهم على الثبات والصبر فى مواصلة الجهاد.

وبجانب آخر استعد ملك سغو لمواجهة الحاج عمر فى مشارق عاصمته الثانية «ويتالا » فأمر أبنه «بج» أن يسحر الحاج عمر وكان بج ساحرا عليما فاستعمل كل ما أوتى من فنون السحر ولم ينجح ، فقام الملك بيديل عسكرى فوضع كافة قواته البالغة عددها مائة وخمسون ألف جندى فوزعها على أهم أنحاء المملكة ، فعسكر فى « ويتالا ٣٥ الف جندى بقيادة ابنه « تتا » كما ترابط ٣٥ آلف جندى فى «جابل» بقيادة ابنه بنتا أيضا ووزع الباقى فى برسو وتمان وموقلا . وفى جابل أرسل الحاج عمر ستة الاف جندى يقودهم كما ذكرنا يرو به فبادر عليهم الكفار باطلاق النار وهجم عليهم المسلمون حتى شتتوهم وفروا وأستولوا على القرية . ثم تهيأ رضى الله عنه إلى غزو « وتيلا» عام ١٢٧٦ هـ الموافق شهر أغسطس ١٨٦٠م وحرك جيشه حتى وصل تمن ومكث فيها أسبوعا يعظ جيشه ويحرضهم على القتال ويعلمهم ويقول لهم بأن حرب ويتالا حرب شدة لا مناص عنها ولا يطمع أحد من النجاة ومن خلال ذلك تمنى بحضور الأبطال الذين استشهدوا من قبل مثل « بوتل سوهاك وحمات كرون الخ حتى أخذتهم الغيره فأجابه الفاهم بن جيرنو مولى قائلا (ياشيخنا أولئك باعو

---

(١) أبو بكر خالد - مرجع سابق .
(٢) جيرنو منتقى تال / مرجع سابق .

أنفسهم فربحت ونحن بعنا أنفسنا فما ربحت فيلست الشهادة بأحب إليهم منا وقد طلبناها منذ وقعة « دنغيراى» وفى هذه المعركة استهد بن جيرنو مولى، واستشهد معه كثير من الناس فقد وصلوا ويتالا بعد الفجر فحاصروها فاطلقوا نيران المدافع الثقيلة عليها ونشبت بينهما الحرب ودامت المعركة ثلاثة أيام وكان « تتا » آبن الملك قائد الجيش فلما اشتد عليه أمر الشيخ رضى الله عنه نادى رؤساء قومه واستشارهم بأمرالشيخ فقالوا إنا نحن الغالبون وكان بجانبه عبد ذكى قال له أنت ياسيدى أتذكر منذ صغرى إذا نزل الضيف على مزارع قوم فقاموا بدفعه وقاتلوه ثلاثة أيام ولم ينتصروا عليه سوف يدخل دارهم فقال له « تتا » صدقت أما الباقون فما قالوا إلا مايرضينى ثم أمر بهدم الحصن ليجد الجيش مهربا وعزم هو على الانتحار فقال إنه لا يتراءا مع الحاج عمر ثم أوقد على نفسه البارود وقيل إنه قد قتل كما قتل معه (٦٠٠) جندى وأسر مثل ذلك، وأخذ من خيولهم حوالى (٥٦٠) فرسا فكان الملك - نظرا لأهمية ويتالا قد وضع فيها ٣٥ ألف جندى ومع كثرتهم فقد جعل «تتا» فى كل نقبة من نقب القلعة ثلاثين جنديا يقاتلون، والباقون يتحدثون ويلعبون ولا يبالون بما كانوا من المقاتلة فإذا تعب المقاتلة ناب عنهم آخرون وهكذا كانت إستراتيجية تتا الحربية[1] بينما قسم الحاج عمر جيشه إلى خمسة طوائف .

الأولى : طائفة قنار : تضم أهل قنار وبوصيا وكرمت وجاورو مسمه وكفروش .

الثانية : طائفة يرلابى : وتضم أهل يرلابى ولاو وهبيابى إنضم إليهم أهل كاسو وجافن وباغنة .

والثالثة : طائفة تور وتضم أهل تور ، وبندر إنضم « قدمغ» وأكثر فوتا جلون الرابعة طائفة جنفنتن» وهى تضم أهل حوض وعشيرة الشيخ ومواليه ، وعبيده وقريبوا عهد الإسلام وهم يتولون حراسته الطائفة الخامسة : طائفة مرقلاوهى قوم أتى بهم

---

(١) جيرنو منتقى تال مرجع سابق ص ٥٠٠ .

الفاعثمان من أرض مرقلا وإنضم إليهم بقية أهل فوتا جلون سماهم الحاج عمر طائفة مرقلا[1] . وهكذا فى اليوم التالى تواجدت جيوش الحاج عمر فى صعيد المعركة ، وأجريت الترتيبات والتشكيلات لخوض المعركة النهائية، فى ويتالا . تقدمت هذه الطوائف كلها فحاصرت المدينة وكانت تحيط بها عدة أسوار وإندلعت المعركة لتنتهى بانتصار الحاج عمر . وكان ذلك يوم الأحد الثانى والعشرين من صفر ١٢٧٦ هـ الموافق سبتمبر ١٨٦٠ ومكث رضى الله عنه ليلة فجاء إليه من خلالها وفود وبايعوه بيعة الإسلام .

وبعد إنتصار ويتالا إتجه رضى الله عنه إلى « سنيسد» فوصلها ورحب به ملكها ولكن فوجئ الحاج عمر بمجئ جيش أحمد بن أحمد مع جيش ملك سغو لتقاتل ضد الحاج عمر ، وفى نفس الوقت بعث أمير ماسن رسالة إلى الحاج عمر تضمنها عدة أحاديث ومنها : (إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فكلاهما فى النار[2] ومن هنا ندرك بأن أمير ماسن يحسن المراوغة والخدعة، وجيشه فى صعيد المعركة لمساعدة الكفار ضد الحاج عمر ، وفى نفس الوقت وجه رسالة إليه تحمل الوعظ والتهديد[3] كما أشرنا عندما وصل رضى الله عنه إلى « سنيسد» كان يأتى الناس من جميع البلدان يبايعونه حتى وصل إليهم جيش أحمد بن أحمد فحاربهم الحاج عمر حتى إنتصر عليهم ثم فروا هاربين إلى ماسن. ثم ارتحل الحاج عمر إلى عاصمة ملك « سغو» فلما وصل إليها وجد الملك قد هرب وترك قصره فى إلى ماسن فلما وصل الشيخ مكث فيها مع إبنه أحمد المدنى أياما ثم أمر بإحضار أهل فوتا وجميع المسلمين ودعى إبنه أحمد فشاور أهل فوتا باستخلافه فوافقوا جميعا فبايعه الناس وأمر الناس باتباعه. وفوجئ رضى الله عنه بقدوم جيش أحمد بن أحمد أيضا مع ملك سغو بقيادة عم أمير ماسنة « بالب» رئيسا لذلك الجيش وأمرهم بالقدوم إلى حرب ضد الحاج عمر فى سغو

---

(١) جيرنو منتقى تال / مرجع سابق ٥٠٠ .
(٢) راجع نص الرسالة والجواب فى كتاب الجواهر لجيرنو منتقى تال ص ٥٠٥-٥١٦ .
(٣) راجع الشيخ موسى كمرا مرجع سابق ص ٣٣.

وتقدم بهم حتى وصلوا قرية جفرابى ولما سمع الحاج عمر بذلك أمر الفا عمر جيرنو بيلا بلقائهم وتقدم بجيش فحاربهم وإشتد بينهم الطعنات حتى إنتصر عليهم الفاعمر[1] .

ثانيا جهاده ضد المسلمين المتحالفين مع الوثنية .

وبانتهاء تصفية المقاومة فى سغو كان وقوع المعركة بين القوتين المجاهدتين بقيادة الحاج عمر والماسنيين بقيادة أميرهم أحمد بن أحمد أمرا لا مفر منه لذا فقد جمع أمير ماسنا حشدا كبيرا من الجنود فى شايول يبلغ عددهم حوالى ستين الف مقاتل ، كما أحضر الحاج عمر حوالى أربعين ألف مقاتل فى نفس المكان (ششايول) والتقى الجمعان فى معركة شديدة وإنتهت بانتصار الماسين على المجاهدين وفى اليوم التالى أجرى الحاج عمر ترتيبات فى جيشه بعد ما أوصاه حمد جم فلدى المحارب من ماسنة أوصاهم بضرب الخيول فإن البطل الفارس منهم إذا مات عنه جواده لن يحارب وواجهتهم ماسنة بحشد كبير من الجنود وأكثرهم خياله على صهوات الجياد دخلوا المعركة مستخدمين نفس الأسلوب السابق ودارت المعركة وصوب المجاهدين أسلحتهم على الخيول وقبل انسحاب الماسنيين كانت أرض المعركة مليئة بجثث الخيول وقتل وجرح كثير منهم .

وهكذا إنهزم الأمير أحمد وجيوشه ومعهم جيوش الكفار كما جرح فى هذا القتال وأبى الهرب حتى حمله عبيده إلى السفينة لينجوا به وسأل الحاج عمر أين الأمير فقيل إن عبيده حملوه فى سفينة لينجوا به فأتبعه بمائة جواد حتى أدركوه فى قرية «مويتى» وممن أدركه الفا عمر جيرنو بيلا فوجده قد فارق الحياة فأخبر الشيخ بذلك فترحم عليه ثم أستولى الحاج عمر على العاصمة (حمد الله) فبايعه أهل ماسنة فأعلن لجيشه أن نساءهم وأولادهم لاتسبى ، وأن أموالهم لا تغنم ولاحق للمجاهدين فيه فإنهم مسلمون .

---

(١) الشيخ مويئ كمرا، مرجع سابق ٣٣ ، ٣٤ .

ثم جـمع رضى الله عنه جميع المسلمين وقام من مجلسه وأجلس عليه أبنه أحمد شيخ وبايعه وخلفه على فتح من البلدان وقال أرجع إلى سغو لأنهم حديثو عهد فى الإسلام فرجع بأكثر الجيوش[1] وأمر بإعادة بناء حمد الله وأحاطها بسور عظيم ، فلما رأى بعض الماسنيين بقلة جيش الحاج عمر لأن معظمهم عادوا إلى سغو ، فكاتبوا البكاى كنتا ووعده بأن يؤمروه عليهم فجاء بجيش عظيم وأنضم إليه أهل الأمير أحمد بن أحمد وبقايا الوثنيين وحاصروا الشيخ عمر فأرسل التجانى ابن أخيه ليأتى بالجيش لنجدته ومكث الشيخ فى الحصار ثلاثة أشهر ثم أمر أصحابة بالخروج من الحصار فخرج الجيش حتى وصل جبل « دغيرى» ودارت المعركة بين المجاهدين وأعدائهم حتى قتل بين الفريقين عدد كبير وظن أن الحاج عمر قد قتل ، فإذا هو دخل فى غار هو وبعض أبنائه وقد اشتد بهم التعب ينتظرون قدوم التجانى ابن أخيه فقام الأعداء بإشعال النار على فم الغار حتى توفى كل من فيه ثم طالب البكاى أهل ماسنا أن يبابعوه كما وعدوه فأبوا فاختلفوا فيما بينهم حتى وصل التجانى بجيشه فنشب بينهم القتال ولما علم لما وقع للحاج عمر أقسم أن لايضع جنبه على الأرض حتى ينتصر على الأعداء جميعا فواصل الجهاد حتى غلبهم وأخضعهم واستتب له الأمر فقام بالخلافة وأقام الحدود وبذل المال ورحم الفقراء والضعفاء ورتب الدروس وأكرم العلماء[2] .

الفصل الثالث : جهاد الحاج عمر على ضوء الشريعة والقانون الدولى .

المبحث الأول: على ضوء الشريعة .

لايختلف أثنان على أن الجهاد واجب إسلامى مقدس تحدث عنه القرآن الكريم وشرحته السنة النبوية الشريفة وقال فى حقه الإمام على - كرم الله وجهه (إن الجهاد

---

(١) أبو بكر خالد. مرجع سابق ص ٦٦ .
(٢) محمد الحافظ التجانى ، مرجع سابق ص ١٨ .

باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه ، فهو لباس التقوى وجنته المنيعة ودرعة الحصين)[1] فالقرآن الكريم يقول: ﴿ وقتلوا في سبيل الله الذين يقالتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾[2] ﴿ وقاتلوهم حتي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان إنتهوا فلا عدوان إلا علي الظالمين ﴾[3] من معانى هذه الآيات، أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يبدأ دعوته بالقوة ، ولم يحارب أحد أبدا إلا إذا كان هذا الأخير هو البادئ، كما أن أى مجاهد نسج على منواله لا يستحق إلا الاقتداء به وهذا ما فهمه المجاهد الحاج عمر فى كافة حرويه فإذا نظرنا إلى بداية جهاده وهو آنذاك فى بلدة «دنغيراى» يتخذها مقرا ومسجدا ومدرسة يعلم فيها ويربى فيها تلاميذة وأتباعه بما يوافق مقتضى الكتاب والسنة، هجم عليه قوات الكفار بعد تهديدات متكررة وقتلوا من أتباعه مالا يستطيع أن يسكت عليه ومن هنا توكل على الله وقاوم مدافعا عن النفس أمتثالا لقوله تعالى ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله علي نصرهم لقدير﴾[4] وطاعة لقوله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان[5] ليس هناك فساد أكبر من قتل النفس وهدر الدم البرئ وهذا ما فعله الكفار عندما قاما يمبا ساخو بشن هجوم على « دنغيراى» والحروب التى تلت هذه الواقعة كلها تسجت على هذا المنوال، وليس أدل على ذلك من إرسال الملك بانجوغو قوات لمناصرة يمبا ساخو[6] وكذلك الملك ماماد كانجا الذى تحالف عسكريا مع الملك « برك» ضد الحاج عمر حيث اشتركت قواته فى معركة هاجموا فيها الحاج عمر[7] كما أن الدعم العسكرى الفعلى لعلى دامنسو ملك سغو من طرف أحمد أمير ماسنا عبارة عن تحالف كامل ضد الحاج عمر[8] فالشيخ عمر الفوتى

---

(١) خطبة الجهاد فى نهج البلاغة ص
(٢) سورة البقرة آية ١٩٠
(٣) سورة البقرة آية ١٩٣
(٤) سورة الحج آية ٣٩
(٥) السيوطى الجامع الصغير ج ٢ ص ٨٦٨٧.
(٦) أنظر صفحة من هذا المبث
(٧) أنظر صفحة من هذا المبحث
(٨) أنظر صفحة من هذا المبحث

المجاهد لم يشن أى هجوم مباغت على أى بلد أو شخص فى المنطقة إلا بعد ما برهن على ذلك وأصر على محاربته بصده عن سبيل الله وظلم الدعوة الإسلامية المشروعة، فلم ينتقم الشيخ عمر الفوتى من أى أحد لنفسه وإنما ينتقم لله تعالى على حد الشريعة وبناء على السنة النبوية السمحاء ، فقد وعظ وأحسن وأنذر وبشر فوجه وأوعى ولكن أكثر ممن يستحق عليهم وقول القائل لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى

ثانيا: على ضوء القانون الدولى

ورد فى المادة الواحدة والخمسين من ميثاق الأمم المتحدة ما يلى:

يعتبر الدفاع الشرعى « من أقدم أسباب الاباحة التى عرفتها القوانين عبر العصور وبذلك فقد نصت عليه جميع التشريعات الداخلية للدول المتمدنة[1] وفى هذا السياق يمكن القول إن من أهم مظاهر البقاء حق الدولة فى الدفاع عن نفسها عند الإعتداء عليها من جهة، وعند ارتكاب أفعال تهدد أمنها السياسى والأقتصادى وذلك بكافة الوسائل المتاحة لرد العدوان .

ونص المادة ٥١ تعتبر حق الدفاع الشرعى بمثابة حق يقرره القانون الدولى لدولة أو لمجموعة دول باستخدام القوة لصد عدوان مسلح يرتكب ضد سلامة إقليمها أو إستقلالها السياسى شريطة أن يكون إستخدام القوة هو الوسيلة الوحيدة لدرع ذلك العدوان[1] والذى يمكن ملاحظته من التعرف السالف الذكر هو أن حق الدفاع الشرعى يثبت للدول وذلك كنتيجة لحقهما فى البقاء بنفس الشروط التى يثبتها للأفراد وفقا للقوانين والأنظمة الداخلية . ومن هنا ندرك درجة الوعى عند الحاج عمر سواء فيما يخص الشريعة الإسلامية أو ما يتعلق بما عليه القانون الدولى فيما بعد ، فقد أثبتت التجارب واتفقت آراء المؤرخين الواعين كما أثبتت الوثائق المختلفة عن

---

(١) د. مأمون سلامة ، قانون العقوبات (القسم العام الجريمة) ط١ القاهرة ١٩٧٥م ص ١٨٤ .

(٢) د . محمد خلف الدفاع الشرعى فى القانون الدولى الجنائى ط ٢ بنغازى عام ص ١٤١.

جهاد الحاج عمر على أنه لم يبدأ بالعدوان أبدا، بل سار على طريقه معلما ومرشدا ولقى فى سبيله كافة أنواع الظلم والاضطهاد فمن حبسه وأستولى على أمواله بناء على شائعات كاذبة أثيرت حوله من طرف جماعة ممن عادوه من ماسنا حتى إنتشرت أمام طريقه ووصلت إلى بعض الملوك الظالمين ومن بينهم الملك « شغل » فى سغو الذى سجنه أثناء طريق عودته من الشرق، كما تعرض المجاهد الحاج عمر إهانات ومضايقات من الصعوبة بمكان التعاضى عنها ولكن ثبت على الحق وأوصى أتباعه بالصبر والثبات والتسليم لإرادة الله وأنتظار أوامره إلى أن هجم عليه الملك « يمبا » بعد حصار محكم دامت مدة من الزمن ذاق الحاج عمر خلاله مراره شديدة.

ولما سفكت الدماء وهدرت الحقوق وانتشر الظلم وأصبح الاعتداء سافرا توكل على الله وأستعمل معانى أسلفناها من أى الذكر الحكيم ونصوص السنة المطهرة فقاوم وانتصر وكان انبعاثا للشرارة التى استطارت لتعم نورا وبهجة وضياء واستمر طريقه حتى جاءه إذن صريح من الهاتف الربانى وزادت به ، وقويت عزائمه فصدق الله بـــه وعده ونصره .

وفى جهاده ضد الماسنيين نرى إن حياة الحاج عمر وجهاده مجموعة من الدروس والعبر فقد تناولنا جزءآ من حياته وجهاده بشكل موجز ، وتعرضنا لشرعية هذا الجهاد سواء فيما تقضيه الشريعة الإسلامية أو ما تقضيه القوانين الدولية بما فيها ميثاق الأمم المتحدة ذلك لأن الجهاد موجه إلى كل من الكفار والمنافقين بقوله تعالى ﴿**يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم**﴾ [1] والذى سنتعرض له هنا هو ما كثر فيه الكلام وخاض فيه الخائضون ، حاول فيه المغرضون مؤاخذة الحاج عمر الفوتى لمحاربته مع أمير ماسنة باعتبار أن هذا الأمير مسلم ، لكن نود أن نلفت أنظار هؤلاء المغرضين سوء منهم المتأثرين بكتابات الإستعمار ، أو الذين تحركهم الحمية العرفية التى لا محل لها فى مثل هذه الموقف . نعم نشبت حروب طاحنة بين الفريقين ،

---

(١) سورة الطـــلاق .

وكثرت أثناءها الضحايا من الطرفين وانتصر الحاج عمر بجدارة انتصار الحجة قبل السيف والذى يمكن ملاحظته من التعريف السالف الذكر هو أن حق الدفاع الشرعى يثبت للدول وذلك كنتيجة لحقها فى البقاء بنفس الشروط التى يثبتها للأفراد وفقاً للقوانين والأنظمة الداخلية . وهذا يعنى ضرورة توافر الآتى فى الاعتداء أن يكون حالا وغير مشروع ولا يمكن دفعه إلا باللجوء إلى القوة [1].

من هذه الحجج الدامغة ما اوردناه فى مقالنا هذا من تحالفه الظاهر مع ملك سغو عسكريا ضد الحاج عمر والقوات الإسلامية التى يقودها . وكذلك ما تتضمنه رسائله الخمسة من التهديدات والشتائم والكلام الذى يمجه الذوق السليم ، فلو أنه توقف عند هذا الحد لما دارت أية معركة بينه وبين الحاج عمر ولكنه تعداه واعتدى عليه والرد القرآنى عن هذا الأمر واضح جداً إذ يقول جل من قائل : ﴿ **فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي ..** ﴾[1] الآية . إضافة إلى قوله تعالى وهو العليم الخبير يعلم ما جرى وما سيجرى إلى يوم الدين قال فى محكم تنزيله : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما علي الأخري فقاتلوا التي تبغي حتي تفيء إلي أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** ﴾[2]. إستخدم الحاج عمر معانى هذه الآية وطبقها أحسن تطبيق فعلى الرغم من التحرشات العسكرية المتكررة والتهديدات السافرة من قبل الحليفين على دامنسو ملك سغو الوثنى وأحمد بن أحمد أمير ماسنا المسلم أنتظر الحاج عمر ما يزيد على أربعة أشهر أوقف خلالها كل تحركاته العسكرية وحاول غير ما مرة إقناع الأمير أحمد بأنه لا يريد محاربته كمسلم ولا يريد محاربة على دامنسو نفسه لأنه مشرك بل يحارب على دامنسو لأنه على صحة كفره قد اعتدى عليه وشارك فى عدة معارك كان يخوضها ضد الكفار الظالمين ، ولكن أمير ماسنا أبدى

---

(١) د . على صادق أبو هيف : القانون الدولى العام . ط ٢ منشاة المعارف ، الأسكندرية ، ص : ٣٤ - ٣٥ .

(٢) ســـورة . . . . .

كراهيته له ولجهاده وقام بعمليات عسكرية متكررة ضد جيشه كما أنه أظهر تعنتاً شديداً بحيث سد به طرق الحوار والمفاوضات بل بكلام ظهر فيما بعد بأنه غير صحيح ألا وهو قوله : « بأن ملك سغو تاب على يده واعتنق الإسلام والواقع أن شيئاً من هذا لم يقع أبداً » .

فبعد نفاذ الصبر وسكون كل شئ أمام الحاج عمر إلا باب واحد مفتوح هو مقاومة ملك سغو وفتح حرب ضده وهذا ما يحدث . فلما نصره الله تعالى بمنه وكرمه على قاعدة الكفر فى سغو فر ملكها هارباً واختفى قبل أن يلتجئ نهائياً إلى حمد الله عاصمة حليفه الأمير أحمد ، والذى أظهر عدم صحة مزاعم أمير ماسنا عن إسلام هذا الملك هو أن قوات الجيش الإسلامى عندما فتحت سيغور وجدت فى قصر الملك أصناما عديدة يعرف المؤرخون أسماءها . فقد عبدها الملك المشرك إلى آخر الحظة من فراره . وتأكيد على بطلان الإدعاء القائل بأنه أعتنق الإسلام ، أصدر الحاج عمر أمرا لجمع هذه الأصنام وعدم تدميرها لتكون حجة على أمير ماسنا[1] علماً بأن عادته هو كسر الأصنام بيده كلما فتح الله به معقل كفر ووثنية . يضاف إلى ذلك أن الحاج عمر يدافع الأخوة الإسلامية قد وجه إلى أمير ماسنا وثيقة يطالبه فيها بإرجاء الملك أليه كى يستيتد به فى ماسنا فأمام هذا الباب المفتوح للمصالحة على الرغم من السوابق الغامشه التى صدرت من أمير ماسينا فإنه لم يملك من الرد على هذا العرض السخى الذى يحق دماء المسلمين من الطرفين ويستتب فيه الأمن والسلام ليحل محل الخلافات والعداوة ، خاصة وأن مما أبطل دعوى إسلام ملك سغو الحوار الذى دار بينه وبين أمير ماسنا عندما التجأ إليه واليك نص الحوار : «سأل الملك أحمد : هل ربكما واحد أو لك رب وللحاج عمر رب ؟ فأجابه الأمير أحمد : بل ربنا واحد . فقال له الملك : إنى حاربت كثيراً من الجيوش فلم يستطيع أحد التغلب على إلا الحاج عمر ،

---

(١) سورة الحجرات .

(٢) أنظر . . . . من هذا البحث .

إسمع يا أحمد : إن كان لك رب وللحاج عمر رب فرب الحاج عمر أقوى من ربك ، وإن كان ربكما واحد . فهو يحب الحاج عمر أكثر مما يحبكم» وهذا يدل على أن ملك سيغو ما عرف الإسلام[1] .

ومن جانب آخر بعد انتظار الحاج عمر على ماسنا أصدر قرار يدل على الشريعة الإسلامية ووقوفة عند حدها وحرصه على تطبيقها.

فعندما جاءه خبر وفاة الأمير ترحم على روحه وقال موجها كلامه لقوات المسلمين البواسل الذين استولوا على ماسنا بأنه لا يحق لهم سبى نساء ماسنا ولا إغتنام أموال الماسنين لأنهم مسلمون .

الدروس المستفادة فى هذا الجهاد :

يستفاد من دروس جهاد الحاج عمر بأنه رمز حى يمثل عدة عناصر يحتاج أبناء الأمة الإسلامية إلى تواصيها على الصعيد الفكرى والعلمى كنتيجة حتمية لإثبات ما كان القرآن الكريم والسنة النبوية السمحاء يرميان إليه .

فقد كان من دروس جهاد الحاج عمر رد مقنع على سؤال كثيراً ما تردد على شفاه الكثيرين ، ألا وهو : هل انتهى فعلا الجهاد فى سبيل الله ؟ فجاء الرد صريحاً ليقول لنا إنه مادام البغى والشرك والكفر والطغيان والظلم باقية فإن الجهاد سيبقى قائماً إلى الأبد .

كما أن حركة الحاج عمر تبدى شيئاً آخر يكاد المقصرون والمحجوبون لا يدركون ألا وهو: أن التفوق الحقيقى أمر واجب عل كل من كفقة وأنه كله داخل فى صميم الشريعة وأعماق الحقيقة الأمر الذى مثله جهاد الحاج عمر بما فى كلمة التمثيل من معنى .

وأمر آخر يعتبر درساً قيماً أيضاً من الدروس التى أملاها جهاد الحاج عمر على العالم هو أن قيمة القيادة تكتمل بوجود القائد ويتوفر كافة المواصفات التى تتطلبها

---

(١) محمد الحافظ التجانى : الحاج عمر الفوتى سلطان الدولة التجانية ، مرجع سابق ص ٢٤ .

القيادة وعلى شخصية الحاج عمر وأفكاره وكتاباته وحياته الخاصة وشخصيته الاجتماعية وترامى رجلاته واتساع خبراته وسعته ما يكفى أن يجعل منه ذلك القائد المنشور الذى يلم به الشمل وتتم به الوحدة .

أما الدرس الآخر الذى يمكن استخلاصه من جهاد الحاج عمر فيتمثل فى تحقيق الوحدة وحدة بنى جلدته تحت راية الإسلام بناء على مبادئه ومعتقداته فكما أن كل بطل ينطلق من إيمانه بمبادئه الأساسية التى يعتمد بها ويتخذها ركيزة لكل مخططاته العلمية والسياسية والثقافية والدينية أو الاجتماعية أو قل حتى الأقتصادية . بهذا أبرز الحاج عمر ليضع كافة هذه العناصر على ركيزة الدين وليعمل ليحقق كافة المكاسب التى رأيناها بناء عليه ، فالدين عنده هو الحياة وما عكس الحياة إلا الموت والحياة عنده عبادة أولا ثم جهد فى إسعاد النفس وإسعاد الغير ولذا كانت أفقه واسعة جداً يمكن القول بأنه سبق زمانه بأكثر من قرن . لقد عمل فى توحيد القارة الأفريقية وخصوصاً غرب القارة أولا ليوحدها فيما بعد إلى الأجزاء الأخرى من شمال القارة وشرقها اللتين تعرفان الإسلام قبل الزحف إلى جنوب القارة حيث يندر المسلمون فى وقته وكان ينوى وضع دولة مثل التى كانت فى عهد الراشدين والأمويين إلى العباسيين حيث كان هارون الرشيد يقول لغيمة (السحابة) : « ياغيمة أمطرى حيث تشائين فإن خراجك لآت إلى » . فبالنسبة لا للحاج عمر فليس الملك هو الذى يهمه قدر ما كان نشر الإسلام وتحرير عباد الله من الأفارقة من نيران الاستبداد وظلم الوثنيين وطغيان الإقطاعيين إلى وضعهم فى ظل عدالة الإسلام وحريته من ناحية ومن ناحية أخرى كان يصبو إلى تحقيق مجموعة بشرية قوية تستطيع تسخير وسائل الإنتاج كما تستطيع بحكم النظام الاجتماعى والاقتصادى والعلمى الذى كان يتصوره أن تقف أمام أى تهديد أجنبى عن القارة سواء منهم الاستعمار الفرنسى الذى يعرفه أو الاستعمار الانجليزى أو البرتغالى أو الألمانى أو الإيطالى التى كانت قد درسها دروساً متفاوته حسب تواجده فى مناطق احتلالها بالقارة الأفريقية أو آسيا .

ففكرته فكرة دولة ثيوقراطية أى مبينة على الدين تجمع كافة الأقطار الإفريقية كما أسلفنا ونفس الدعوة جاءت الى أفريقيا من طرف أبطال أفارقة آخرين فيما بعد سعوا إلى تحقيق وحدة أفريقيا مع اعتماد كل منهم على لون الثقافة التى تشبع بها ولا تزال أطروحة تحقيق وحدة أفريقيا قائمة مطروحة على بساط البحث ، وهكذا يمكن أن أعود وأقول إذ بعد الحربين العظيمين هبت رياح الحرية والاستقلال فكان مندبو هذه البلدان المستعمرة فى أفريقيا منقسمين بين من يرى ضرورة توحيد أفريقيا مرة واحدة ومن يرى ضرورة مجموعات إقليمية متناغمة مع ارتباطها بالمجمرعات الأخرى حال ما يتم النضج ويكون تحقيق الوحدة الكاملة متاحاً .

ولهذا الهدف انشأت منظمة الوحدة الأفريقية التى تجمع كافة أقطار القارة وفى ظلها نشأت منظمات إقليمية ذات أهداف اقتصادية محددة ، بينما نرى بعض الدول الأفريقية تضع فى تشكيل حكوماتها حقيبة وزارية خاصة للاندماج الأفريقى وجمهورية السنغال أرض الحاج عمر الأصلى مثال حى عن هذا الدرس عن جهاد الحاج عمر وأهدافه قيم جداً لو كان للمسلمين الأفارقة آذان صاغية ولو كان لقلوبهم وعى ولعقولهم ادراك تام بأن الأمر بالأمر يذكر . فالحاج عمر الفوتى مرجع حقيقى يمكن الإعتماد عليه وتقليده لتحقيق هذه الأمور كلها من إحياء السنة ونشر الإسلام وتحقيق الوحدة وإقامة مجتمع مبنى على الإيمان ذى قوة ومناعة وعزة وكرامة . فقد أسس دولة إسلامية امتدت حدودها من تمبكتو شمالا إلى بلاد الحوص (الهوسا) شرقاً وإلى المحيط الأطلسى غرباً .

قائمة المراجـــــع

١ - ابراهيم اتيام : تعامل تربوى ولغوى مع كتاب « تذكرة القلوب » للحاج عمر الفوتى تال ، قسم اللغة العربية بالمدرسة العليا بجامعة شيخ أنت جوب .

٢ - إجلال محمود رأفت : صراع القوى السياسية فى السنغال بعد الاستقلال وسياسة فرنسا تجاه (الصراع ومعهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة).

٣ - ابن خلدون : المقدمة

٤ - الشيخ موسى كمرا : أشهى العلوم وأطيب الخبر فى تاريخ الحاج عمر ، المعهد الإسلامى لأفريقيا السوداء جامعة شيخ أنت جوب .

٥ - الشيخ تقى الدين أبو الفتح : أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام .

٦ - السيد / بيد باص : مقابلة منقولة من كتاب / محمد على اتيام ، الذى صاحب الحاج عمر في كل تنقلاته وحركاته الجهادية .

٧ - جيرنو منتقى تال : جواهر الدرر فى مسيرة الحاج عمر .

٨ - عمر أحمد سعيد : دور حركات التجديد الإسلامى فى غرب أفريقيا ، المركز الإسلامى الأفريقى فى الخرطوم - السودان .

٩ - ضوء مفتاح عمد : نظرية الحرب فى الإسلام وأثرها فى القانون الد ولى العام ، دار المكتبة الوطنية بنغازى - ليبيا .

١٠ - محمد الحافظ النجاتى المصرى : الحاج عمر الفوتى سلطان الدولة التجانية جهادة وتاريخ حياته .